مصر القبطيّة

إعداد: هشام الجبالي



مرحبا ياصدقائى فى كل بقعة من أرض مصر.

أسمى **«نيل»** وُجدّت منذ أن شق النهر مجراه فى أرضنا فجلب لها الخصب والنماء، عشت كل هذه القرون بينكم أصاحب أجدادكم القدماء فى رحلات البناء الطويلة، وأرافق أباءكم فى مسيرة العمل من أجل رقى مصر وتقدمها ، أشاركهم أحزانهم وأأسى لهزائمهم، أسعد بإنجازاتهم وأشيد بانتصاراتهم، أعشق كل ماهو مصرى فأطوف بأرجاء البلاد شرقا وغربا ، شمالا وجنوبا ، أبحث عن كل جديد، عن كل بناء وتقدم، أقضى النهار أحث أبناءها على بذل المزيد من الجهد، وأمسى لأحلم لها بغد أكثر إشراقا ومستقبلا يملأه الرقى والتحضر، أعتدت أن أصاحب الشيخ كثير النشاط والحركة **«تاريخ»** كلما جاء لزيارة أرضنا، أقص عليه أخبارها وأقدم له المساعدة ليسجل لها فى أوراقه جهد أبنائها وشموخ حضارتها، لهذا ستجدونى معكم عبر حكايات **«تاريخ»** وحوادث مصر وأخبارها .

موسوعة تاريخ مصر

المحرر : هشام الجبالى

الرسوم الداخلية : علاء حجازى

هانى طه - إيهاب وصفى

المراجعة اللغوية : شوقى هيكل

الجمع التصويرى : المكتب العربى للمعارف

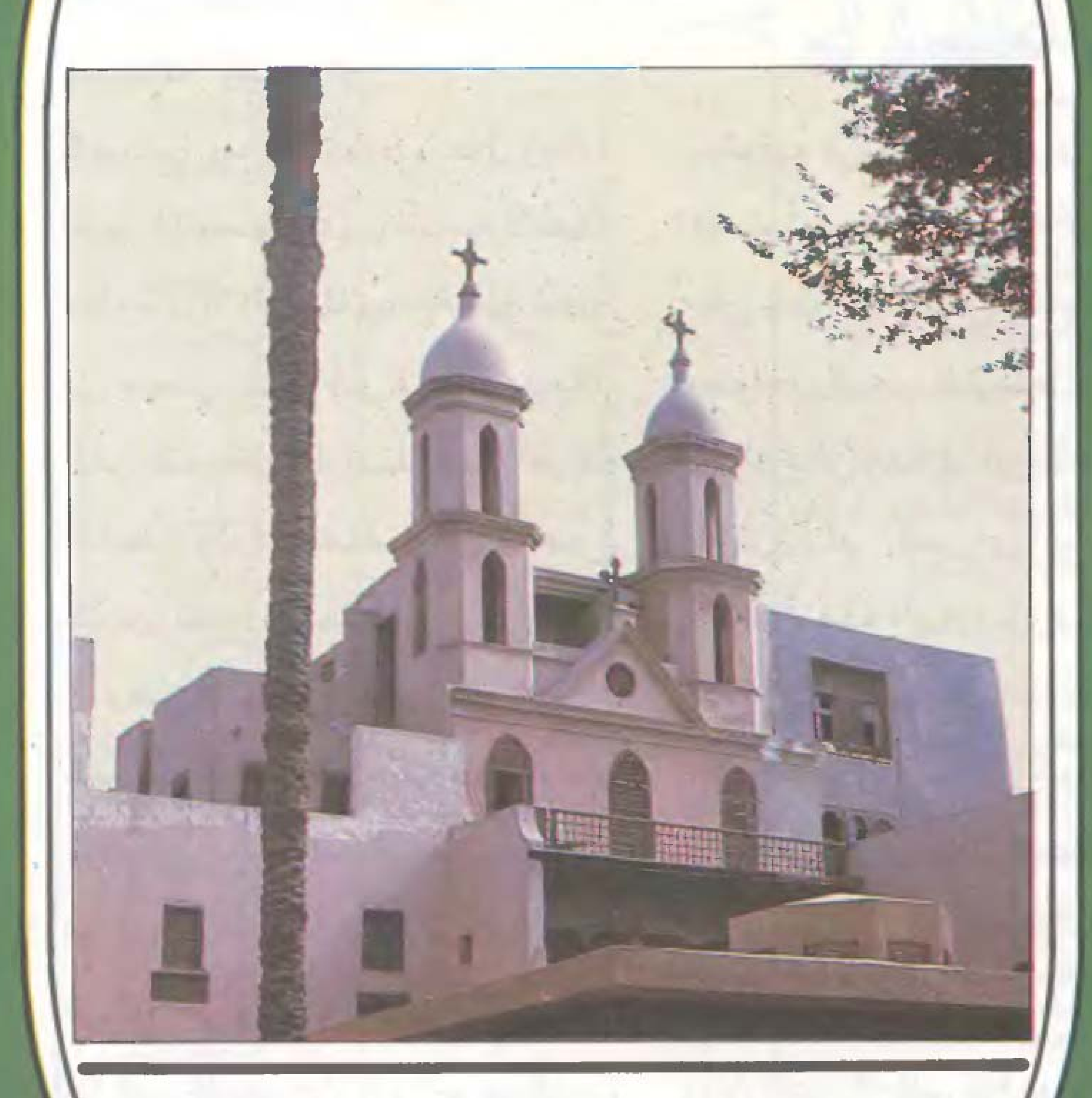
الإخراج : المكتب العربى للمعارف

رقم الإيداع : ١٩٩٤/٥٤٤١

الترقيم الدولى : I.S.B.N:977-276-018-5

موسوعة تاريخ مصر

مصر القبطيّة



إعداد: هشام الجبالي



فى عـام ٣٠ قبلَ الميلادِ تمكَّنَ القائدُ الرومانىُّ أكتافيوسَ من حسمِ الصراعِ القاسىِّ الذى دار بين جيوشِهِ وجيوشِ كليوباترا ومارك أنطونيو حولَ زعامةِ البحرِ المتوسطِ، ليدوِّىَ انتصارُه معلنًا سقوطَ دولةِ البطالمةِ وبدايةَ عهدٍ جديدٍ فى مصرَ، عهدٍ قُدِّرَ فيه على بلادِ الفراعنةِ بكلِّ ما تمتلكُهُ من عراقةِ الماضى وثراءِ الحاضرِ أن تتجرَّعَ كئوسَ التبعيةِ والاحتلالِ.

وعبرَ أكثرَ من مائتى عامٍ تجولْنا معًا فى لقائِنَا السابقِ بين أخبارِ بلادِكم تحتَ الحكمِ الرومانى، فشاهدتُمْ معى كيف عانى أجدادُكم فى المراعى والمصانعِ والحقولِ من ثقلِ ما قُدِّرَ عليهم من ضرائبَ وما فُرِضَ عليهم من أعمالٍ إجباريةٍ، وكيف صار عليهم أن يشعلوا نيرانَ الثورةِ فى جنباتِ قُرَاهُمْ ومدنِهِمْ مدافعين عن حقوقِهِمْ فى وجهِ حُكَّامِ روما وإن كان قد تمتَّعَ بعضُهم بشىءٍ من الحرصِ على شئونِ ولاياتِهِم المنتشرةِ على طولِ سواحلِ البحرِ المتوسطِ كأكتافيوسَ وهادريانَ ومارك أوريليوسَ، فإن أكثرَهُمْ لَمْ يُظْهِرْ أىَّ اهتمامٍ يذكرُ بشئونِ هذه الولاياتِ وحياةِ سكانِهَا كنيرون وكاليجولا وفسبسيان، بينما اشترك جميعُهم فى كونِهِمْ أباطرةً رومانيين جلسوا على عرشِ الإمبراطوريةِ فلم يَعُدْ يشغلُهم سوى مستقبلِ مُلْكِهِمْ وصالحِ خزائنِهِمْ، حتى وإن أدّى ذلك إلى تدهورِ صورِ الحياةِ فى الولاياتِ ومن بينها مصرُ التى ظلَّتْ وهى درةُ التاجِ الرومانى مجردَ ولايةٍ تابعةٍ تعملُ من أجلِ روما.

ملوك مصر من الإسكندر المقدونى إلى نهاية عصر البطالمة

الملك	مدة الحكم		العاصمة
	من	إلى	
الإسكندر المقدونى	٣٣٢	٣٢٣ ق ٠ م ٠	منف
فيليب الثالث	٣٢٣	٣١٦ ق ٠ م ٠	الإسكندرية
الإسكندر الثانى	٣١٦	٣٠٤ ق ٠ م ٠	الإسكندرية
بطليموس بن لاجوس	٣٠٤	٢٨٤ ق ٠ م ٠	الإسكندرية
بطليموس الثانى	٢٨٤	٢٤٦ ق ٠ م ٠	الإسكندرية
بطليموس الثالث	٢٤٦	٢٢١ ق ٠ م ٠	الإسكندرية
بطليموس الرابع	٢٢١	٢٠٥ ق ٠ م ٠	الإسكندرية
بطليموس الخامس	٢٠٥	١٨٠ ق ٠ م ٠	الإسكندرية
بطليموس السادس	١٨٠	١٧٠ ق ٠ م ٠	الإسكندرية
بطليموس السادس وبطليموس الثامن	١٧٠	١٦٤ ق ٠ م ٠	الإسكندرية
بطليموس الثامن	١٦٤	١٦٣ ق ٠ م ٠	الإسكندرية
بطليموس السادس	١٦٣	١٤٥ ق ٠ م ٠	الإسكندرية
بطليموس السابع	١٤٥	١٤٥ ق ٠ م ٠	الإسكندرية
بطليموس الثامن	١٤٥	١٣٠ ق ٠ م ٠	الإسكندرية
كليوباترا الثانية	١٣٠	١٢٨ ق ٠ م ٠	الإسكندرية
بطليموس الثامن	١٢٨	١١٦ ق ٠ م ٠	الإسكندرية
كليوباترا الثالثة وبطليموس التاسع	١١٦	١٠٧ ق ٠ م ٠	الإسكندرية
كليوباترا الثالثة وبطليموس العاشر	١٠٧	١٠١ ق ٠ م ٠	الإسكندرية
بطليموس العاشر	١٠١	٨٨ ق ٠ م ٠	الإسكندرية
بطليموس التاسع	٨٨	٨١ ق ٠ م ٠	الإسكندرية
بطليموس الحادى عشر	٨١	٨٠ ق ٠ م ٠	الإسكندرية
بطليموس الثانى عشر	٨٠	٥٨ ق ٠ م ٠	الإسكندرية
برنيقة الرابعة	٥٨	٥٥ ق ٠ م ٠	الإسكندرية
بطليموس الثانى عشر	٥٥	٥١ ق ٠ م ٠	الإسكندرية
كليوباترا السابعة	٥١	٣٠ ق ٠ م ٠	الإسكندرية

كان آخرُ ما ماحدثْتُكُمْ عنه من رحلاتى هى تلك الرحلةُ التى زرتُ فيها بلادكم فى عهدِ الإمبراطورِ مارك أوريليوس والتي شاهدتُ خلالَها تحطُّمَ موجاتِ ثورةِ المصريين بقيادةِ الكاهن أزيدور الواحدةِ من بعدِ الأخرى على صخورِ القوةِ الرومانيةِ، ولم يطلْ مُقَامِى بمصر بَعدَ انحصارِ ثورتِهَا طويلاً، إذ سرعانَ ما رحلتُ أواصلُ عملى متنقِّلاً ما بين ولاياتِ الإمبراطوريةِ الرومانيةِ يزيدنى كلُّ ما أستمعُ إليه أو يقعُ عليه بصرى فى هذه الولاياتِ إحساسًا بمدى سوءِ أحوالِهَا فى الوقتِ الذى انشغلَتْ فيه روما بالأخطارِ التى صارت تهدِّدُ أمنَ حدودِهَا فى الخارجِ والاضطراباتِ وعدمِ الاستقرارِ الذى أمسى سمةً مميزةً لإدارةِ شئونِهَا فى الداخلِ، وبعدما انتهيتُ من طوافى بجميعِ ولاياتِ الإمبراطوريةِ، وبينما كنتُ فى طريقى مرتحلاً صوبَ جنوبى القارةِ الأفريقيةِ استقرَّ عزمى على المرورِ ببلادِكُمْ، فكانت عودتى إليها عام ٢٥٠.

وفى الإسكندريةِ هذه المدينةِ الجميلةِ المتزينةِ دائمًا بصخبِ الحياةِ وفتوَّةِ النشاطِ والحركةِ، كان عثورى على صديقى المصرى نيلٍ الذى ما إن نظرتُ إلى وجهِهِ حتى أخبرنى ذلك الحزنُ الذى يطلُّ من عينَيْهِ بنوعِ ما يحملُهُ إلىَّ هذه المرةَ من أخبارٍ.

وإلى شاطىءِ المتوسطِ أسرعتُ أصطحبُ نيلاً لنجلسَ معا فى ساحةِ الفَنَارِ قبلَ أن أتوجَّهَ إليه قائلاً: لقد مرَّ على آخرِ لقاءٍ لنا ما يقربُ من ثمانيةٍ وسبعين عاما، لابدَّ وأن تكونَ قد حَمَلَتْ لبلادِكُمُ الكثيرَ من التغيراتِ.

فقال : أَجَلْ يا أبتى، لقد حدثَتْ عدةُ تغيراتٍ مهمةٍ، لكنَّ الشىءَ الذى لم يتغيَّرْ هو أننا لم نَزَلْ نحيا تحتَ حكمِ روما.

فقلتُ له: أعلمُ أنكم ماتزالون تعانون من الاحتلالِ الرومانى يانيلُ، ولكننى لا أعلمُ شيئًا عمَّا جَرَى فى بلادِكُمْ منذُ



رسم ملون على الحجر .. القرن الثالث عشر

فَشَلِ ثـورتِهَا فى عهدِ مارك أوريليوس.

فقال : لقد تمكَّنَ أفيديوس كاسيوس قائدُ الكـتـائـبِ الرومانيةِ فى سوريا من محاصرةِ الثوارِ والقضاءِ على خطرِهِمْ، ولكنَّ روما ما كادت تطمئِنُّ إلى استعادةِ إحكامِ قبضتِهَا على بلادِنَا، حتى راحت تواجِهُ فيها خِطرًا جديدًا يفوقُ خطرَ الثورةِ إذ إن مصدرَه هذه المرةَ كان قائدَ كتائبِهَا كاسيوس الذى رأى فيما حقَّقَهُ من نجاحٍ وما تجمَّعَ لديه من قوةٍ وسلطانٍ فرصةً سانحةً للانقضاضِ على عرشِ الإمبراطوريةِ، فما لَبِثَ أن أعلنَ تمرُّدَهُ على حكمِ مارك أوريليوس معتمدًا على مساندةِ

وتأييدِ أغلبِ الولاياتِ الشرقيةِ وعلى رأسِهَا مصرُ التى بايعه جيشُها وناصره الكثيرون من أهلِهَا وخاصةً الإسكندريين، وما هى إلا بضعةُ أشهرٍ من الاضطراباتِ والفوضى طُوِيَتْ بعدَها صفحةُ ذلك التمردِ بمقتلِ كاسيوس على يدِ أحدِ ضباطِ جيشِهِ.

فقلتُ له: وكيف تصرَّفَ مارك أوريليوس مع مَنْ ناصروا كاسيوسَ فى مصرَ؟

فقال: إن ما فعلَه ذلك الإمبراطورُ فى مواجهةِ مَنْ ناصروا تمردَ كاسيوس يُعَدُّ بحقٍّ دليلاً واضحًا على حُسْنِ سياستِه وسعةِ عفوِه وحكمتِهِ، فهو حينما جاء إلى الإسكندريةِ فى أعقابِ فشلِ التمردِ اكتفى بعزلِ الوالى ونفيِهِ خارجَ البلادِ، مظهرًا العفوَ لأفرادِ أسرةِ كاسيوس وجموعِ الإسكندريين والجنودِ الرومانيين الذين بايعوا خصمَه أو بذلوا له التأييدَ والمساندةَ

فقلتُ له: لقد كان مارك أوريليوس واحدًا من أفضلِ مَنْ جلسوا على عرشِ رُومَا.

فقال: أَجَلْ، ولكنْ ما إن جاء عامُ ١٨٠ حتى تُوُفِّىَ مارك أوريليوس ليخلفَه كومودوسُ فى الجلوسِ على عرشِ الإمبراطوريةِ لاثْنَىْ عَشَرَ عامًا بدأها باللجوءِ إلى العنفِ وإثارةِ الأحقادِ، فتعقَّبَ أفرادَ أسرةِ كاسيوسَ وقضى عليهم جميعًا، كما أنه لم يَنْسَ أيضًا فى غمرةِ قسوتِهِ وحبِّهِ للانتقامِ أن يَنْصِبَ للإسكندريين محاكماتٍ سريعةً قُتِلَ على أثرِهَا عددٌ كبيرٌ منهم، وهكذا استمرَّ عهدُ ذلك الإمبراطورِ سلسلةً متصلةً من العنفِ والاضطهادِ، فكان ما ألحقَه بالمصريين من أضرارٍ جسامٍ سببًا لتزمُّرِ جموعِهِمْ وتكتُّلِهِمْ فى مواجهةِ حماقاتِهِ صفًّا واحدًا، حتى أنَّ رجالَ الحكمِ فى روما أسرعوا يعدُّونَ المزيدَ من سفنِ النقلِ الضخمة تحسُّبًا لاستخدامِهَا فى استيرادِ الحبوبِ الغذائيةِ إذا ما اندلعَت الثورةُ فى بلادِ الفراعنةِ ونقطعُ ما ترسلُه إليهم من غلالِ الجزيةِ.

فقلتُ له: ولكن تزمُّركم من حكمِ كومودوسُ وتكتُّلكُمْ فى مواجهتِه لم يصلْ إلى حدِّ اندلاعِ الثورةِ، أليس كذلك؟

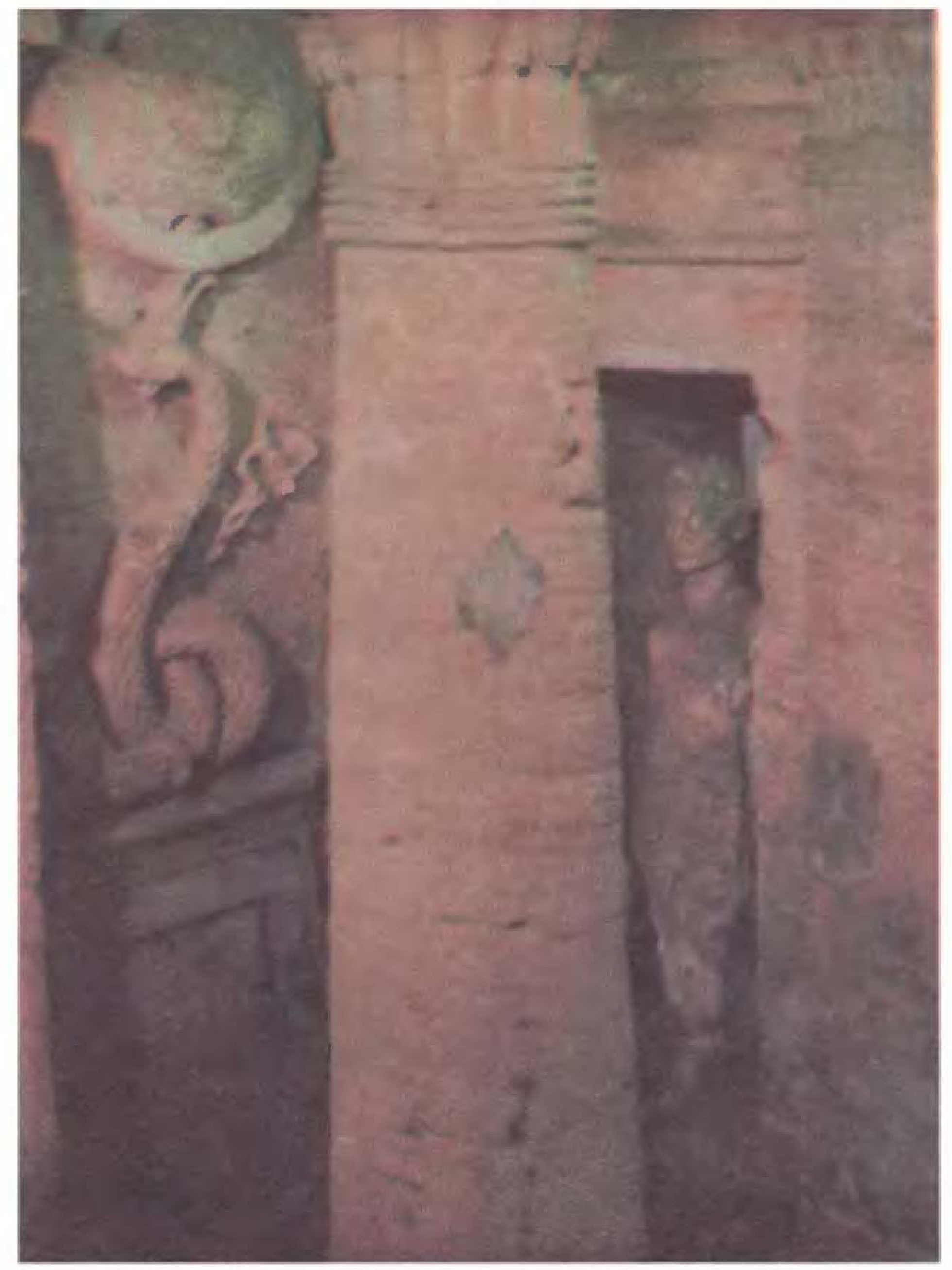
فقال : بلَى، ففى عامِ ١٩٢ قُتِلَ كومودوسُ وجلس الإمبراطورُ برتيناكى علي العرشِ، فلم يَدُمْ حكمُه سوى ثلاثةِ أشهرٍ انتهت بمصرَعِهِ، لتعمَّ الفوضى أرجاءَ الإمبراطورية وتتصارعَ الجيوشُ الرومانيةُ حولَ مجموعةٍ من قادةِ كتائبِهَا وفرقِهَا الساعين إلى الفوزِ بالعرشِ، ولما برز من هؤلاءِ القادةِ سبتميوسُ فى الغربِ ونيجيرُ حاكمُ سوريا فى الشرقِ، أسرعَتْ مصرُ تناصر حاكمَ سوريا الذى بايعه جيشُ الإسكندريةِ وكُتِبَتْ باسمِهِ وثائقُ الإدارةِ فى جميعِ أرجاءِ البلادِ، ولكنْ سرعانَ ما تكشَّفَ الصراعُ عن تفوُّقِ سبتميوسَ وانفرادِهِ آخرَ الأمرِ بحكمِ الإمبراطوريةِ.

فقلتُ له: لقد كثُرَتْ فى هذه الفترةِ الانقساماتُ والاضطراباتُ وتعدَّدَتِ الصراعاتُ حولَ العرشِ فى روما وأدَّتْ جيوشُ الإمبراطوريةِ فى الشرقِ والغربِ على حدٍّ سواءٍ دورًا بارزًا فى هذه الصراعاتِ يعينون الأباطرةَ تارةً ويعزلونهم أو يقتلونهم تارةً أخرى، وقد لاحظت أنكم فى مصرَ دائمًا ما كنتم تقفون إلى جانب كلِّ مدعٍ للعرشِ أو مطالبٍ به.

فقال: إن طولَ معاناتِنَا من تسلُّطِ روما على شئونِ بلدِنا جعلتنا أقربَ إلى مناصرةِ كلِّ من يقفُ فى وجهِ إمبراطورِهَا، ولم يَكُنْ هذا شأنَ مصرَ وحدَها، بل كان شأنَ جميعِ الولاياتِ الشرقيةِ، لذلك رأيتَنا نناصرُ تمردَ كاسيوسَ بالرغمِ من دورِه البارزِ فى قمعِ ثورتِنَا، ولنفسِ السببِ قمنا بتأييدِ نيجيرَ حاكمِ سوريا فى صراعِهِ مع سبتميوسَ عقبَ مقتلِ الإمبراطورِ بيتناكى.

فقلت له: حسنًا يانيلُ، فما الذى حدثَ بعدَ أن انفردَ سبتميوسُ بحكمِ الإمبراطوريةِ؟

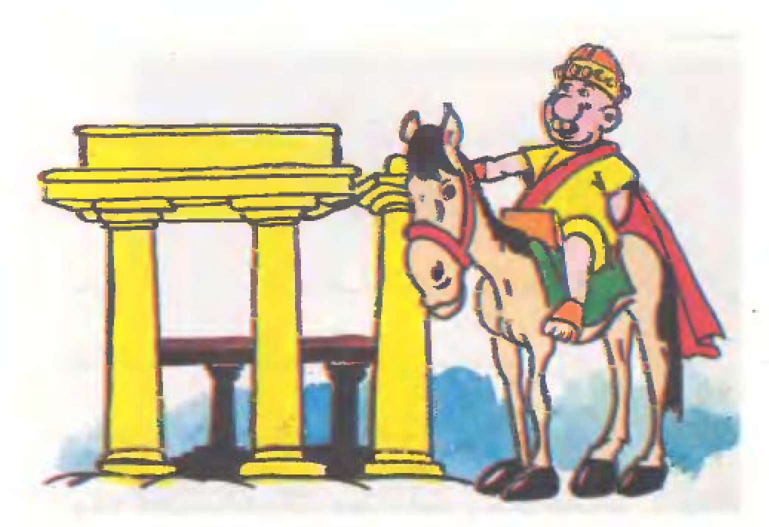
فـقـال: اسـتـمـرَّ سبتميوسُ فى الحكمِ نحوَ ثمانيةَ عشرَ عاما، وقد قام خلالَ عامِ حكمِه السابعِ بزيارةِ مصرَ، حيث حرصَ على اتباعِ نفسِ التقليدِ الذى اتبعه الأباطرةُ السابقون فى زياراتِهِمْ لمصرَ، فبادربالسياحةِ فى نهرِهَا



إحدى مقابر الرومان فى الإسكندرية

لمشاهدةِ ما خلفه الفراعنةُ على ضفافهِ من آثارٍ حضاريةٍ جليلةٍ، وحينما شارفت سياحتُه على الانتهاءِ كان قد شاهدَ أيضا ما وصلت إليه أحوالُ البلادِ من سوءٍ ولمس بنفسِهِ كيف تدهوَرَتْ شئونُ الزراعةِ، وكيف أصيبت الإدارةُ الرومانيةُ فى مقاطعاتِ مصرَ المختلفةِ بالعجزِ التامِّ مما جعله

يَتَّخِذُ على الفورِ قرارًا بإنشاءِ مجالسَ تشريعيةٍ في الإسكندريةِ وكافَّةِ عواصمِ المقاطعاتِ ليحمِّلَ مَنْ يتولَّوْنَ عضويةَ هذه المجالسِ من المصريين بعضَ العبءِ عن موظفي الإدارةِ الرومانيةِ المتدهورة، فكان إنشاءُ سبتميوس لهذه المجالسِ أكبرَ تعديلٍ يدخلُ على نظمِ الإدارةِ الرومانيةِ التي وضع أكتافيوس قواعدَها منذُ أكثرَ من مائتي عامٍ، وأولَ خطوةٍ على طريقِ محاولةِ إصلاحِ أحوالِ البلادِ ما لبثت أن أعقبَتْهَا خطوةٌ أخرى على جانبٍ كبيرٍ من الأهميةِ في عهدِ خليفتِهِ كاراكلا.



فقلت له: أتقصدُ بالخطوةِ الأخرى ذلك القانونَ الذي أصدرَه كاراكلا في عامِ حكمِهِ السابعِ؟

فقال: أَجَلْ يا أبتي، فقد أصدرَ كاراكلا في ذلك العامِ قانونًا يقضي بمنحِ جميعِ سكانِ الإمبراطوريةِ في كافةِ ولاياتِهَا حقَّ المواطنةِ الرومانيةِ، ليفقدَ بذلك الرومانيون والإسكندريون ما كانوا يتمتعون به من تمييزٍ رسميٍّ عن سائرِ جميعِ الشعبِ المصريِّ في القرى والمدنِ والمقاطعاتِ، وليصيرَ الجميعُ في نظرِ القانونِ الرومانيِّ في مرتبةٍ واحدةٍ يتمتعون بما يتمتَّعُ به سكانُ روما من حقوقٍ، وفي عام ٢١٥ قام كاراكلا بزيارةِ مصرَ متوقِّعًا أن نستقبلَه بالترحيبِ والحفاوةِ اعترافًا منا بفضلِهِ، ولكنَّ ما حدث له في الإسكندريةِ كان عكسَ ما توقَّعَ تمامًا.

فقلتُ له: ولماذا لم تحسنوا استقبالَه وقد استفدتم دونَ شكٍّ من قانونِه أعظمَ استفادة؟

فقال: لقد كان قانونُ المواطنةِ

بالنسبةِ للإسكندريين كارثةً سلبَتْهُمْ ما ظلُّوا يتمتعون به من امتيازاتٍ منذُ عهدِ البطالمة، أمَّا بقيةُ الشعبِ المصريِّ فكانت تعتزُّ بمصريَّتِهَا وانتسابِهَا إلى جذورِهَا الفرعونيةِ اعتزازًا لاترضى معه الانتسابَ إلى وطنٍ آخَرَ، كما أنها فَطِنَتْ إلى أن التغييرَ الذى سيُحْدِثُهُ هذا القانونُ فى حياتِهَا الاجتماعيةِ لن يتعدَّى كونَه تغييرًا شكليًّا فتبقى معاناتُها وتمتُّعُ الإسكندريين والرومانيين بالنفوذِ والثروةِ ما بقى الاحتلالُ الرومانىُّ، لذلك ما إن وطأت قدما كاراكلا أرضَ الإسكندريةِ حتى قُوبِلَ باستهزاءِ شعبِهَا وسخريتِهِ اللاذعةِ، مما جعله يقتصُّ من الإسكندريين بإطلاقِ جيشِهِ بالتدميرِ والتخريبِ فى أرجاءِ مدينتِهِمْ كما قام بطردِ جموعِ المصريين الذين كانوا قد فَرُّوا إليها من قراهم ومدنِهِمْ هربًا من فداحةِ ما يُقَدَّرُ عليهم من ضرائبَ وما يفرضُ عليهم من أعمالٍ إجباريةٍ، ولم يُبْقِ منهم إلا من كان له عملٌ أساسى فيها.

فقلتُ له: لم يستمرَّ جلوسُ كاراكلا علي عرشِ روما سوى ستةِ أعوامٍ سرعانَ ما دخلت بعدَهَا الإمبراطوريةُ فى طورٍ جديدٍ من أطوارِ الضعفِ والفوضَى، حيث تعددت المؤامراتُ وتتابعت الانقاسامات وصارت الحروبُ الداخليةُ بكلِّ ما تحمله من تدميرٍ عملاً معتادًا فى أغلبِ أرجائِهَا، فما الدورُ الذى أدَّتْهُ بلادكم فى أحداثِ هذه الفترةِيانيلُ؟

فقال: بعد موتِ كاراكلا نشأ خلافٌ حادٌّ بين خليفتِهِ ماركينوس وهليوجبالوس الذى ادَّعَى بُنُوَّتَهُ لكاراكلا مطالبًا بحقِّه فى وراثةِ العرشِ، وبينما ناصرَ الجيشُ الرومانىُّ فى الإسكندريةِ هليوجبالوسَ وقف الإسكندريون إلى جانب ماركينوس لتتعرَّضَ المدينةُ نتيجةَ ما اشتعلَ بين الفريقين من معاركَ إلى التدميرِ من جديدٍ.

فقلتُ له: لقد حَسِمَ هذا الخلافُ

لصالحِ هليوجبالوسَ، أليس كذلك؟

فقال: بَلَى، لقد حَسَمَ هليوجبالوسُ الخلافَ وانفردَ بالجلوسِ على عرشِ الإمبراطوريةِ حتى عامِ ٢٢٢، ومن بعدِهِ تولَّى سفيروس الحكمَ فقام فى عامِ حكمِهِ السابعِ بزيارةِ مصرَ محاولاً استكمالَ خططِ الإصلاحِ للنهوضِ بالبلادِ من عثراتِهَا المتلاحقةِ، لكنَّ تفشِّىَ الانقساماتِ والمؤامراتِ من حولِهِ لم يَكُ ليتيحَ له فرصةَ العملِ الجادِّ المستمرِّ.

فقلتُ له: حقا، فقد ذهب سفيروس نفسُهُ ضحيةً لهذه المؤامراتِ حيث قتله بعضُ جنودِهِ فى عامِ ٢٣٥.

فقال: وبعد مقتلِ سفيروس تتابعَ الأباطرةُ على عرشِ روما لايكادُ يستقرُّ أحدُهم فى الجلوسِ عليه حتى يتبعَهُ آخَرُ، وفى وسطِ كلِّ هذه الاضطراباتِ لم يكن لبلادنَا دورٌ بارزٌ فيما يجرى، وكذلك وقف تأثُرها به عندَ تغييرِ اسمِ الإمبراطورِ فى وثائقِهَا الرسميةِ بل كثيرا ما أغفلت هذه



تمثال حجرى لأحد الرعاة
فى مصر الرومانية

الوثائقُ ذكرَ بعضِ الأباطرةِ لقصرِ فتراتِ حكمِهِمْ.

فقلتُ له: لقد تنقَّلَ عرشُ الإمبراطوريةِ فى مدةٍ زمنيةٍ لم تتجاوزِ الأربعةَ عَشَرَ عامًا بين عدةِ أباطرةٍ أذكرُ منهم ماكسيمينوس وفيليب وجورديانوس قبلَ أن يصلَ فى آخرِ الأمرِ إلى ديكيوس الإمبراطورِ الحالى.

فقال: مع أننا لم نتجاوزْ بعدُ العامَ الثانىَ لحكمِ ديكيوس، إلا أن ذلك الإمبراطورَ قد ملأ قلوبَنا بُغْضًا له باضطهادِهِ الشديدِ لكلِّ من اعتنقَ المسيحيةَ فى مصرَ وخارجَهَا.

فقلتُ له: لقد تعاظمَ شأنُ المسيحيةِ فى الآونةِ الأخيرةِ وانتشر أتباعُها فى كلِّ ولاياتِ الإمبراطوريةِ شرقًا وغربًا، فهل جذبت هذه العقيدةُ إليها الكثيرين فى مصرَ؟ وكيف ومتى كان دخولُها وانتشارُها فى بلادِكُمْ؟

فقال: فى ظلِّ الترابطِ الذى أوجدته وحدةُ جميعِ أقاليمِ البحرِ المتوسطِ تحتَ رايةِ الإمبراطوريةِ الرومانية، لم يك من العسيرِ انتقالُ الأفكارِ والعقائدِ على طولِ سواحلِ هذا البحرِ بنفسِ السرعةِ التى تتدفَّقَ بها التجارةُ أو تنتقلُ بها كتائبُ الجندِ، وبهذه الطريقةِ انتقلت تعاليمُ المسيحِ ومبادىءُ عقيدتِهِ من أرضِ فلسطينَ إلى مصرَ فى منتصفِ القرنِ الأولِ الميلادىِّ، ومع أن انتشارَ هذه التعاليمِ وتلك المبادىءِ بين جموعِ المصريين كان ضعيفًا خافتًا فى بدايةِ الأمرِ إلا أن المسيحيةَ استطاعَتْ مع مرورِ الأيامِ والشهورِ والأعوامِ أن تجذبَ إليها الكثيرين منهم فى شتى أرجاءِ الدلتا والوادى، حتى أن الإسكندريةَ اليومَ أصبحَتْ من أهمِّ مراكزِ هذه العقيدةِ فى العالمِ أجمعَ.

فقلتُ له: وكيف تخلَّى المصريون عن عقائدِهِمُ التى ظلُّوا يرثونها عن آبائِهِمْ وأجدادِهِمْ جيلاً من بعدِ جيلٍ منذُ أكثرَ من خمسةِ آلافِ عامٍ؟

فقال: لقد استقبلَتْ بلادُنَا المسيحَ طفلاً صغيرًا بالبشرِ والترحيبِ ليجدَ



رمز المسيحية محفورا على احد اعمدة المعابد الفرعونية .. فيلة

هو والعذراءُ فى ربوعِهَا ملاذًا آمنا بعدما واجهتهما أرضُ فلسطينَ بالمتاعبِ والعثراتِ، وكما وجد المسيحُ فى مصرَ الملاذَ الآمِنَ وجدت تعاليمُه ومبادئُه فى المصريين روحَ اللينِ والسماحةِ، فقبلَ دخولِ المسيحيةِ إلى بلادِ الفراعنةِ كان المصريون ما يزالون على عقيدةِ آبائِهِمْ وأجدادِهِمْ يقدسون سرابيس أو آتون أو أوزوريس وإيزيس وحورس، بل إن هذه الرموزَ كانت قد انتشرَتْ فى الكثيرِ من ولاياتِ ومدنِ الإمبراطوريةِ وفى مقدمتِهَا روما، حيثُ أُنْشِئَتْ لإيزيسَ المعابدُ وقُدِّمَتْ لها القرابينُ، وعلى هذه الحالةِ جاءت المسيحيةُ ووجدت بين المصريين مَنْ ينجذبُ إلى مبادئِهَا ويؤمِنُ بتعاليمِهَا متخلِّيًا عن عقائدِ آبائِهِ وأجدادِهِ ومدافعًا عن عقيدتِهِ الجديدةِ بكلِّ ما

يمتلكه من قوة، في نفس الوقت الذي وقفت فيه روما في وجه المسيحية وأتباعها برغم كلّ ما عرف



عنها من عدم التعرض لعقائد ومقدسات الشعوب التي انضمت إلى إمبراطوريتها الشاسعة.

فقلتُ له: لاعجبَ في وقوف روما ضدَّ انتشار المسيحية مع كلِّ ما عرف عنها من تسامح تجاهَ جميع العقائد الأخرى، فإن كانت روما قد تسامحت مع هذه العقائد فذلك لأنها لم تك تمثلُ خطرًا واضحًا على مُلْكِهَا ومستقبل إمبراطوريتهَا، بل إن أكثرَها يَهَبُ الحاكمَ أو الإمبراطورَ القداسةَ والتبجيلَ اللذين لاترضى بهما المسيحيةُ، وهذا هو ماجعل الأباطرةَ يتعقبون أتباعَها بالاضطهاد منذُ ظهورِهَا واحدًا من بعدِ آخَرَ، حتى إذا ما جاء ديكيوس وصل بذلك الاضطهادِ إلى الذروةِ.

فقال: لقد عاش المسيحيون في مصرَ ينشرون دعوتَهم ويمارسون طقوسَها بالرغمِ من كلِّ المضايقاتِ التي تعرَّضُوا لها في عهودِ الأباطرةِ السابقين، ولكن ديكيوس يأمرُهم اليومَ بالتخلي تماما عن عقيدتِهِمْ ويتوعَّدُ مَنْ يرفضُ منهم تنفيذَ أمرِه بالتعذيبِ حتى القتلِ.

فقلتُ له: وهل أذعنَ المسيحيون في مصرَ لأوامرِ ديكيوسَ؟

فقال: رفض معظمُهم التخلِّيَ عن عقيدتِهِمْ، وبينما يواجهُ بعضُ الرافضين اضطهادَ ديكيوس بثباتٍ وعزيمةٍ لاتلينُ، اضطرَّ بعضُهم الآخَرُ إلى الفرارِ من أمامِ بطشِ الجنودِ

الرومانيين.

فقلتُ له: وإلى أين كان فرارُهم يانيلُ؟

فقال: منذُ أن قُدِّرَ على بلادِنا أن تعانىَ من تعسفِ الولاةِ الرومانيين فى تقديرِ ما يفرضونه علينا من ضرائبَ، اعتادَ من يعجزُ منا عن سدادِ ما يُقَدَّرُ عليه الفرارَ خشيةَ العقابِ إلى مستنقعاتِ الدلتا أو دروبِ وكهوفِ الصحراء، وهذا هو ما يفعلُه المسيحيون اليومَ.

فقلتُ له: وهل تعلمُ شيئًا عن الأماكنِ التى فرُّوا إليها؟

فقال: بالطبعِ، فقد قمتُ فى الأيامِ الماضيةِ بزيارةِ بعضِ هذه الأماكنِ فى الدلتا لتقديمِ كلِّ ما أستطيعُ من مساعدةٍ، كما أننى كنتُ قد عزمتُ قبل مجيئِكَ مباشرةً على الذهابِ إلى



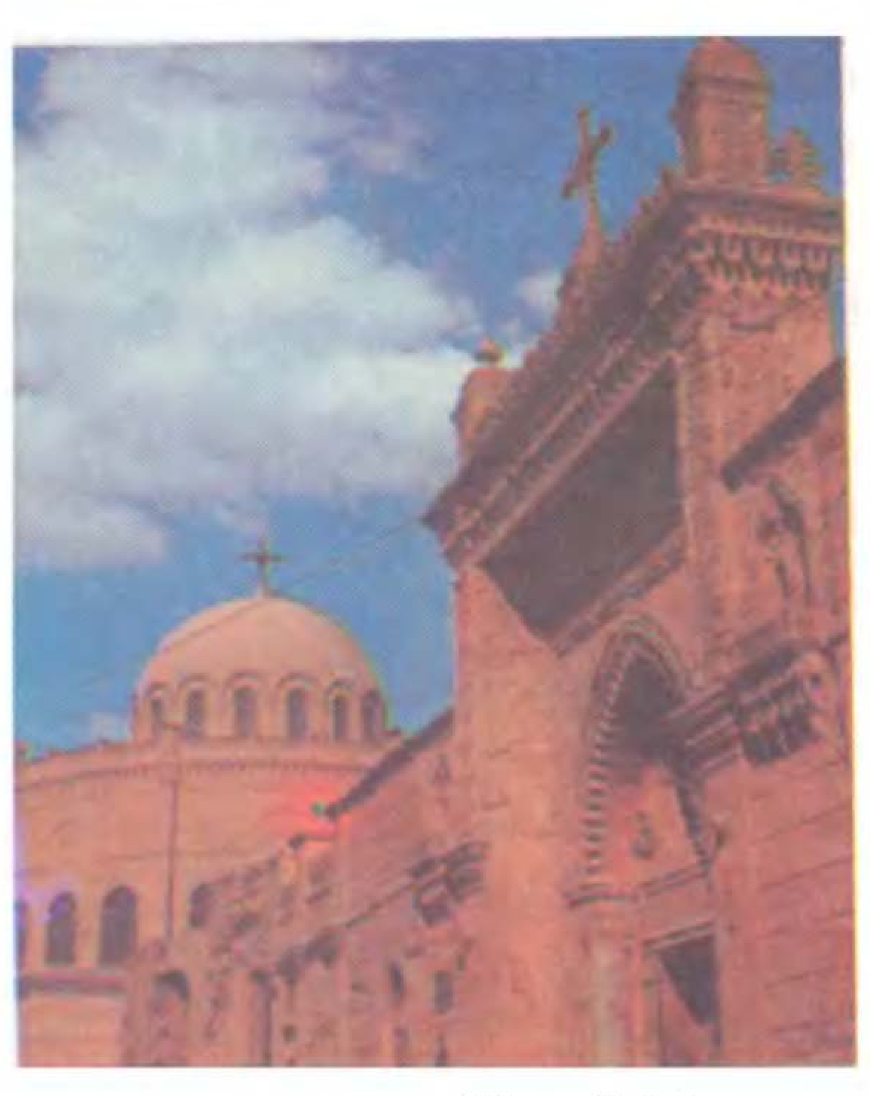
إيزيس وحورس.. نقش على جدران معابد فيلة

شمالِ الوادى حيثُ علمتُ بوجودِ بعضٍ منهم فى صحرائِهَا.

فقلتُ له: حسنًا، فسأصحبُكَ إذنْ إلى صحراءِ الوادى.

ولم نُضِعِ المزيدَ من الوقتِ، إذ سرعان ما تركنا الإسكندريةَ قاصدين النهرَ حيث صعدنا على صفحتِهِ إلى شمالِ الوادى، ومن هناك واصلنا طريقَنا مُتَّجِهَيْنِ صوبَ الصحراءِ الشرقيةِ، وبين جبالِ الصحراءِ وتلالِهَا المتشابهةِ ضللنا الطريقَ لأظلَّ ثلاثةَ أيامٍ كاملةٍ سائرًا خلفَ نيلٍ الذى لم يَدَعْ أمامى بإصرارِهِ العجيبِ على مواصلةِ البحثِ والتعمقِ فى دروبِ الصحراءِ فرصةً للتفكيرِ فى أىِّ شىءٍ آخَرَ غيرِ اتباعِهِ على الرغمِ من كلِّ ما نلاقيه وسطَ رمالِ هذه الصحراءِ الموحشةِ من متاعبَ، وفى اللحظةِ التى كدتُ أسقطُ فيها من شدةِ الوهنِ والإعياءِ، وقع بصرى على قافلةٍ تضمُّ عددًا كبيرًا من المصريين الذين علمتُ حينما اقتربتُ منهم أنهم ممن يعملون فى المناجمِ القريبةِ من البحرِ الأحمرِ وقد سلكوا دروبَ الصحراءِ عائدين إلى منازلِهِمْ فى الوادى لقضاءِ إجازةٍ قصيرةٍ، سرعان ما يعودون بعدَها لاستئنافِ أعمالِهِمْ، وبينما رفض نيلٌ الانضمامَ إليهم مصراً على مواصلةِ بحثِه، أسرعت من فورى أمتطى أحدَ دوابِّهِمْ سعيدًا بالعثورِ على من سيخرجُنى من هذه الصحراءِ التى لا أولَ لها ولا آخِرَ، وفى طريقِ العودةِ ما إن تمكنتُ من استردادِ أنفاسى حتى وجدتنى أقتربُ من أحدِ هولاءِ العمالِ متسائلاً: ألم يتأثرْ عملُكم فى المناجمِ بما لحق بالإمبراطوريةِ الرومانيةِ من تدهورٍ فى الفترةِ الأخيرةِ؟

فقال: شأنَ جميعِ الصناعاتِ فى مصرَ تأثَّرَ عملُنا فى المناجمِ بالاضطراباتِ التى تلاحقَتْ تصيبُ قوةَ الإمبراطوريةِ ووحدتَها بالوَهَنِ والتفكُّكِ، ولكنَّ ذلك لايجعلُنا نُنْكِرُ أن الصناعةَ فى بلادِنَا قد أحرزَتْ فى فتراتِ استقرارِ الإمبراطوريةِ وقوتِهَا



واجهة الكنيسة المعلقة بمصر القديمة

نهوضًا وازدهارًا فاقَ ما كانت عليه فى العصرِ البطلميِّ، لأن الأباطرةَ كانوا يدركون تمامًا أن الجزءَ الأعظمَ من ثمارِ هذا الازدهارِ سيذهبُ فى نهايةِ الأمرِ إلى خزائنِ روما فلم يَدَّخِرُوا جهدًا فى العملِ على تهيئةِ المُنَاخِ الملائم لتحقيقِهِ واهبين الحياةَ الصناعيةَ فى بلادِ الفراعنةِ الحريةَ التى كان قد قيَّدَهَا البطالمةُ باحتكارِهم لأكثرِ روافدِ الإنتاجِ الصناعىِّ، فبينما ظلَّ العملُ فى المحاجرِ قاصرًا على الدولةِ كعهدِهِ دائمًا منذُ العصرِ الفرعونى، ترك الرومانيون الكثيرَ من الصناعاتِ المهمةِ كصناعةِ الزيتِ وصناعةِ أوراقِ البردى فى أيدى المصريين دونَ أىِّ تدخُّلٍ مباشرٍ منهم.

فقلتُ له: أتعنى حقا ازدهارَ الصناعةِ فى بلادِكم تحتَ الاحتلالِ الرومانى؟!

فقال: هذا هو ماحدث بالفعلِ،

فالحريةُ التى أطلقتها الإدارةُ الرومانيةُ للكثيرِ من الصناعاتِ التى كانت فى الماضى احتكاراً خالصًا للحكومةِ البطلميةِ، والهدوءُ والاستقرارُ الذى خيَّمَ على الإمبراطوريةِ فتراتٍ طويلةً فى أول عهدِهَا بالإضافةِ إلى موقعِ مصرَ الفريدِ بين الأقاليمِ الواقعةِ تحتَ الحكمِ الرومانى، كلُّ ذلك ساعد على استغلالِ ما تمتازُ به بلادُنا من كثرةِ الموارِدِ ومهارةِ الصُنَّاعِ استغلالاً أدَّى إلى نهوضِ الصناعةِ فيها على نحوٍ لم تشهَدْهُ من قبلُ حتى أن الإسكندريةَ صارت أكبرَ مركزٍ صناعىٍّ فى الإمبراطوريةِ الرومانيةِ بأسرِهَا.

فقلت له: وما أهمُّ الصناعاتِ المصريةِ التى حدث فيها تطورٌ ملموسٌ فى العهدِ الرومانى؟

فقال: لقد حَدَثَ التطورُ فى صناعاتٍ كثيرةٍ على رأسِهَا صناعةُ الزيتِ وصناعةُ الزجاجِ التى برع فيها أجدادُنا منذُ عهدِ الفراعنةِ واستمرُّوا محافظين على ريادتِهِمْ ومهارتهم فيها طَوَالَ العهودِ التاليةِ، وفى العهدِ الرومانى ازداد انتشارُ هذه الصناعةِ وتطورت أساليبُ إنتاجِهَا لتصنعَ أيدى الصناعِ المصريين من الآنيةِ الزجاجيةِ بأشكالِهَا وألوانِهَا المختلفةِ مايحوزُ رضا وإعجابَ الكثيرين فى شتى بقاعِ العالمِ، وفى صناعةِ أوراقِ البَرْدِى حافظت بلادُنا تحتَ حكمِ أباطرةِ روما على احتكارِهَا لهذه الصناعةِ المهمةِ وتابعت تطويرَها والتجويدَ فيها، أما صناعةُ النسيجِ فقد نالت من التفوُّقِ والتحسينِ ما جعلَها تصدِّرُ إنتاجَها بكمياتٍ وفيرةٍ إلى الأسواقِ الشرقيةِ فى بلادِ الهندِ وبلادِ العربِ علاوةً على أسواقِ الإمبراطوريةِ فى الغربِ والشمالِ، بعدما رأى الرومانيون فى جودةِ إنتاجِهَا وعظمِ انتشارِ مصانعِهَا على طولِ الوادى والدلتا فرصةً لتنميتِهَا إلى الحدِّ الذى تَفِى معه بحاجاتِ جيوشِهِم الضخمةِ إلى كمياتٍ وفيرةٍ من الملابسِ، وإلى جانبِ هذه الصناعاتِ الرئيسيةِ أدَّى تطورُ

الحركةِ التجاريةِ فى الإسكندريةِ إلى وجودِ عدةِ صناعاتٍ أخرى اكتسبت أهميتَها وازداد ازدهارُها فى العصرِ الرومانى، كصناعةِ التوابلِ والعطورِ التى نقومُ باستيرادِها من الشرقِ لصناعَتِها قبلَ إعادةِ تصديرِها إلى دولِ الغربِ والشمالِ.

وطال بى الحديثُ مع ذلك العاملِ المصرىِّ حتى إذا ما وصلت بى القافلةُ إلى مشارفِ الوادى أخذتُ طريقى تاركًا أرضَ مصرَ لأبدأ إحدى رحلاتى الأفريقيةِ الطويلة، وطوالَ واحدٍ وعشرين عامًا تجولْتُ فيها بين أوطانِ أفريقيا ودُوَلِها لم تَنْقَطِعْ عنى أخبارُ الإمبراطوريةِ الرومانية، حيث علمتُ كيف استمرت الاضطراباتُ تزدادُ فى أرضِها يومًا من بعدِ آخَرَ، وكيف أدّى بها الضعفُ وكثرةُ المنازعاتِ حولَ العرشِ إلى اجتراءِ بعضِ ولاياتِها على الخروجِ عن حكمِها، والوقوفِ فى وجهِها أيضًا وعلى رأسِ تلك الولاياتِ كانت تَدْمُرُ هذه الإمارةُ الصغيرةُ



قطعة من النسيج المصرى
فى العصر الرومانى

الواقعةُ على الطريقِ ما بين بابلَ وسوريا والتي لم يَكُ لها أىُّ شأنٍ يُذْكَرُ قبلَ القرنِ الأولِ الميلادىِّ، إذ لم يستغرقْ تحوُّلَهَا من مجردِ إمارةٍ صحراويةٍ صغيرةٍ إلى دولةٍ ثريَّةٍ وقُوَّةٍ عسكريةٍ استطاعَتْ أن تدخلَ مع الإمبراطوريةِ الرومانيةِ فى صراعٍ

عنيفٍ سوى فترةٍ زمنيةٍ لم تتعدَّ ثلاثةَ قُرُونٍ، وقد ساعدَها على ذلك ما تجمَّعَ لديها من



ثرواتٍ ضخمةٍ عن طريقِ تحكُّمِهَا فى نقلِ التجارةِ ما بينِ الشرقِ الأقصى وبابلَ من ناحيةٍ وسواحلِ سوريا ولبنانَ منَ ناحيةٍ أخرى، علاوةً على منافستِهَا للإسكندريةِ فى تجارةِ البحرِ الأحمرِ، وقد دخلت هذه الإمارةُ التجاريةُ الصغيرةُ فى سلطانِ روما فى عهدِ الإمبراطورِ تبيريوس، لكنها عُومِلَتْ معاملةً خاصةً أتاحت لها أن يتولَّى أهلُها شئونَ حكمِهَا الداخليةَ، وفى خلالِ هذا القرنِ استطاع أدويناتُ أحدُ من تولَّوْا حكم تَدْمُرَ فى ظلِّ السيادةِ الرومانيةِ أن يستغلَّ ثرواتِ بلادِهِ الطائلةَ فى تكوينِ جيشٍ على درجةٍ عاليةٍ من القوةِ وحسنِ التدريبِ، وبفضلِ ذلك الجيشِ القوىِّ تمكَّنَ حاكمُ تَدْمُرَ منْ أن يُؤَدِّىَ دوراً فعالاً في الصراعِ الدائمِ حولَ عرشِ روما أهَّلَهُ إلى أن يُعَيَّنَ قائداً عاماً لجميعِ جيوشِ الإمبراطوريةِ الرومانيةِ فى الشرقِ، ولما تُوُفِّىَ أدويناتُ آلَ عرشُ إمارَتِه إلى ابْنِهِ الصغيرِ وَهَبَ اللاتُ تحتَ وصايةِ زوجتِه الملكةِ زِينُوبْيَا التى لم تكتفِ بما حقَّقَه زوجُها الراحلُ لبلادِهَا من مكانةٍ وما تجمَّعَ لها فى عهدِه من ثرواتٍ وإنما دفعها طموحُها الشديدُ إلى محاولةِ التوسعِ بملكِهَا على حسابِ روما ليقودَها ذلك إلى الوقوفِ فى وجهِ الإمبراطوريةِ والاصطدامِ بجيوشِهَا، ولكى أتعرَّفَ

على كيفيةِ حدوثِ ذلك الصدامِ وأعلمَ كلَّ ما تَكَشَّفَ عنه من نتائجَ، كان علىَّ أن أتوجَّهَ من فورى إلــى تَدْمُرَ، وفــى طريقى إليها كان مرورى بمصرَ عامَ ٢٧١ حيـثُ لـم أستطـعْ تجاوزَ أرضِهَا دونَ مقابلةِ نيلٍ والاستفسارِ منه


جانب من إحدى قاعات الكنيسة المعلقة

عَمَّا حدثَ لبلادِكُمْ طوالَ الأعوامِ السابقةِ، وبالفعلِ تمكَّنْتُ بعد رحلةِ بحثٍ قصيرةٍ من العثورِ عليه فى الإسكندريةِ لأتوجَّهَ إليه متسائلاً: ما الذى جرى فى بلادِكُمْ خلالَ الواحدِ والعشرين عامًا الماضيةِ يانيلُ؟

فقال: لم يستمرَّ جلوسُ ديكيوسَ على العرشِ سوى ثلاثةِ أعوامٍ، لكنَّ فترةَ حكمِ ذلك الإمبراطورِ على ضآلتِهَا كانت محنةً قاسيةً لكلِّ أتباعِ المسيحيةِ فى مصرِ وسائرِ ولاياتِ الإمبراطوريةِ الرومانيةِ، ومنذ وفاةِ ديكيوسَ وحتى عام ٢٦٨ عاشت بلادُنَا فى فلكِ الاضطراباتِ التى اجتاحَتْ روما بعدَما كثُرَ التنازعُ حولَ عرشِها، ومن أهمِّ أحداثِ هذه الفترةِ وقوفُ المصريين وجيشُ الإسكندريةِ إلى جانبِ الوالى الرومانى إيمليانوسَ فى صراعِهِ مع بعضِ أدعياءِ العرشِ فى روما، بعدما نصَّبَ من نفسهِ



جندى رومانى يقوم بتعذيب أحد المسيحيين المصريين

إمبراطوراً للبلادِ، ولكن سرعانَ ما انهزم إيمليانوس ليسقطَ من القتلى المصريين فى غمرةِ هزيمتِه ما يفوقُ نصفَ عددِ سكانِ الإسكندريةِ ضحيةً لهذه الأحداثِ المتسارعةِ المضطربةِ، حتى إذا ما جاء عامُ ٢٦٩ أرسلت

الملكةُ زينوبيا جيوشَها لغزوِ مصرَ، حيثُ استطاعَتْ هذه الجيوش بعدَ قضائِهَا على الحاميةِ الرومانيةِ احتلالَ البلادِ.

فقلتُ له: وهل استمرَّ احتلالُ تَدْمُرَ لبلادِكُمْ وقتًا طويلاً؟

فقال: فى عامِ ٢٧٠ تمكَّنَ أوريليان من الانفرادِ بحكمِ الإمبراطوريةِ الرومانيةِ وراح يستخدمُ كلَّ ما يمتَلِكُهُ من حيلٍ سياسيةٍ لمواجهةِ الخطرِ التدمُرِيِّ وتمكَّنَ من أن يصلَ مع الملكةِ زينوبيا إلى اتفاقٍ اعترف بمقتضاه بِالْمَلِكِ وَهَبَ اللاَّتُ شريكًا له فى حكمِ مصرَ، ولكنَّ الملكةَ زينوبيا سرعانَ ما نَقَضَتِ الاتفاقَ ليكونَ القتالُ بينها وبين الإمبراطوريةِ الرومانيةِ هو الحلَّ الوحيدَ لحسمِ ذلك الصراعِ.

فقلت له: وكيف نَشِبَ بينهما القتالُ؟

فقال: لقد قاد الإمبراطورُ أوريليان أحدَ جيوشِهِ متوجِّهًا به إلى قلبِ تدمرَ، فى نفسِ الوقتِ الذى أرسل فيه أحدُ كبارِ قادتِهِ على رأسِ جيشٍ آخَرَ إلى مصرَ، ومنذُ بضعةِ أسابيعَ تمكَّنَ الرومانيون من إتمامِ انتصارِهِمْ على التدمريين ليستعيدُوا حكمَ بلادِنَا من جديدٍ، كما أن الأخبارَ قد جاءت إلينا تحملُ نبأَ انتصارِ أوريليان على جيوشِ الملكةِ زينوبيا وأسرِهِ لهذه الملكةِ التى حملها معه إلى روما لكى يقومَ



أحد الأديرة المسيحية فى أسوان

بعرضِهَا على مواطنيه فى موكبِ انتصارِه.

فقلت له: لقد انتهت الحروبُ إذن بالقضاءِ على تدمرَ وأسْرِ ملكتِهَا...

وصمتُّ أفكِّرُ قليلاً ثم رُحْتُ أسألُهُ قائلاً: ولكن ماذا عن أتباعِ المسيحيةِ الذين اضطروا للفرارِ إلى الصحراءِ يانيلُ؟

فقال: لقد خفَّتْ حدةُ الاضطهادِ الذى كانوا يتعرضون له بعدَ وفاةِ ديكيوس يا أبتى، ولكنه على الرغمِ من عودةِ بعضِهِمْ إلى صخبِ الحياةِ اليوميةِ فى الدلتا والوادى، فضَّلَ البعضُ الآخَرُ الاستمرارَ فى حياةِ العزلةِ.

فقلتُ له متعجبًا: ولماذا تراهم قد فضَّلُوا حياةَ العزلةِ فى الصحراءِ أو وسطَ المستنقعاتِ على الحياةِ بين أهلِهِمْ فى الدلتا والوادى؟!

فقال: إنى ما زلت لا أعلمُ سببًا لذلك، ولكننى سأخبرُك حين عودتى بكلِّ شىءٍ.

فقلتُ له: عودتُك! وإلى أين تنوى الذهابَ يانيلُ؟

فقال: لقد علمتُ منذُ أيامٍ قلائلَ موضعَ أحدِ الأماكنِ التى اعتزلَ فيها بعضُ أتباعِ المسيحيةِ، وسأقومُ بالذهابِ إليهم قريبًا.

وبرغمِ تذكُّرِى لكلِّ ما جرى فى المرةِ السابقةِ، لم أستطعْ إلا أن أصطحبَ ذلك الفتى المصرىَّ إلى أقصى جنوبِ الوادى حيث اخْتَرَقْنَا معًا دروبَ الصحراءِ الغربيةِ باحثين عن ذلك الموضعِ الذى حدثنى عنه، وما هى إلا بضعُ ساعاتٍ من السيرِ المتواصلِ تحتَ أشعةِ الشمسِ الحارقةِ، حتى تأكدتُ تمامًا أننا قد ضللنا الطريقَ، ولم يتبقَّ من أحداثِ المحاولةِ السابقةِ سوى ملاقاةِ المتاعبِ لعدةِ أيامٍ متتاليةٍ قبلَ النجاةِ على يَدِ هذه القافلةِ الصحراويةِ، ولكن تُرَى هل يُقَدَّرُ لى أن أصادفَ وَسْطَ هذه الصحراءِ المتراميةِ بعضَ عمالِ المناجمِ العائدين إلى منازلِهِمْ مرةً أخرى؟!



• أسمى «تاريخ»، وجدت منذ أن وجد الإنسان على سطح الأرض، معه عشت خطواته الأولى، وبين تجمعاته سعيت متنقلا من بلد إلى آخر، وطنى حيث يجد الإنسان فى العمل والإبتكار، لأراقب مسيرة أعماله، أحصى أخباره، وأدون إنجازاته يوما من بعد آخر وعاما تلو عام، تعددت زيارتى إلى كل أقطار العالم فكان لبلادكم نصيب وافر من هذه الزيارات، فيها شاهدت قيام أول حضارات الإنسان على أرضه، ولها سجلت الكثير من صفحات البطولات، وسجلات الإنجازات والرقى، واليوم وبعد كل هذه الأعوام الطوال أجلس بينكم لأحدثكم حديث مصر عبر الزمان نسترجع سويا أحداث رحلاتى إلى أرض النهر والأهرامات والحضارة.

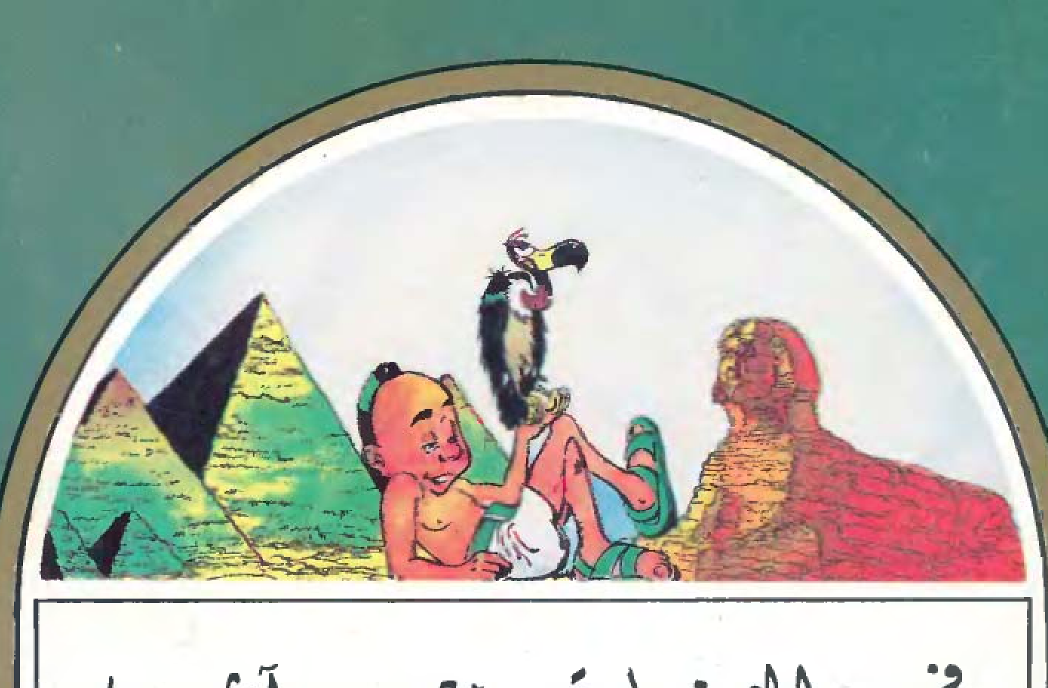


للمكتب العربى المعارف
١٠ شارع الفريق محمد رشاد - خلف عمر أفندى
ميدان الحجاز - مصر الجديدة - القاهرة
ت : ٢٤٢١٥٢٦



الناشر





فجر الحضارة	مصر وآشور
مصر الدولة	مصر وفارس
بناة الأهرامات	مصر البطلمية
غروب شمس الأهرامات	ميلاد الإسكندرية
العصر الذهبي	انهيار دولة البطالمة
انتصار طيبة	بين روما والإسكندرية
تأسيس الامبراطورية	مصر الرومانية
عصر التوحيد	مصر القبطية
الرعامسة	مصر البيزنطية
سقوط دولة الفراعنة	مصر الإسلامية



